

جهود المعاصرين في الرد على القرآنيين، عرض ونقد

د. أحمد بن مرجي صالح الفالح

د. خالد بن نواف الشوكة

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

أستاذ التفسير وعلوم القرآن المشارك

كلية العلوم الإدارية والإنسانية في جامعة الجوف

بكلية الشريعة وأصول الدين في جامعة اليرموك بالأردن

الملخص:

يُعنى هذا البحث بدراسة قضية من أهم القضايا التي انتشرت في العصر الحديث، والتي وجدت بذورها في العصور المتقدمة، وهي قضية أولئك الذين يزعمون أنهم (قرآنيون)، من حيث نشأة هذا الفكر، ومناقشة شبهاتهم والردود عليها، وكل ما يتعلق بهذه الفرقة، من خلال جهود العلماء من أهل التفسير وأهل الحديث والمفكرين المعاصرين، وقد سلك البحث المنهج الاستقرائي ثم التحليلي النقدي، وخلص إلى عدة نتائج من أهمها: أن القرآنيين ابتدعوا الاعتماد على القرآن الكريم وحده مصدرًا من مصادر التشريع، كما استغل القرآنيون الإعلام العالمي اللاديني أو الديني المحرف لإشهار عقيدتهم وشبهاتهم، وقد استطاع المفسرون والمحدثون والمفكرون أن يأتوا على كل شبههم بالنقض والرفض، وتميزت جهود المشتغلين بعلم الحديث بصورة أكبر من جهود المفسرين والمفكرين في بيان عوار هذه الفرقة، وقد ظهر من خلال البحث التقصير الواضح في تحويل الجهود من جهود شخصية إلى جهود دولية أو مؤسساتية منظمة في الرد على هؤلاء المبتدعين، ولعل من أهم التوصيات: عقد المؤتمرات والندوات الدولية التي تعنى بهذه القضية، والدعوة إلى إنشاء كرسي يعنى بالدراسات البينية بين علوم التفسير والحديث والعقيدة، وخاصة في مقام الشبهات، وإعادة النظر في كثير من مناهج التدريس وخطط المسارات الجامعية والمدرسية، وتخصيص فصول منها لدراسة مثل هذه الظاهرة.

الكلمات المفتاحية: جهود المعاصرين؛ القرآنيين.

Efforts of Contemporary Scholars in Responding to Qur'anists Presentation and Criticism

Dr. Ahmad bin Murji Saleh Al Faleh

Assistant prof. of Tafsir and Quranic Sciences
Islamic Studies Department

Faculty of Management Sciences and Humanities
Al jawf University

Dr. Khaled bin Nawaf Al Shu'ah

Associate Prof. of Tafsir and Quranic Sciences
Faculty of Shari 'a and Religion Fundamentals
Al Yarmouk University, Arbed

Abstract:

This research aims at looking into one of the most important recent issues that emerged in our modern time, but whose seeds had already been planted in earlier times. The issue discussed here is the "Quranists"; their ideology, their claims and responding refutations, all related information, and the efforts of scholars such as ahl al-tafsir (the interpreters), ahl al-hadith (the scholars of hadith), and modern intellectuals in this regard. The researcher used the inductive method first, and then the critical analysis. The research came to many findings, the most important of which is that the Quranists invented this new method in which they depend entirely on the Quran as the solo source of Sharia. They made use of non-religious media, and media that was based on distorted religion to announce their beliefs and claims. The interpreters, ahl al hadith and the intellectuals were able to refute all the claims of the Quranists. The efforts of ahl al hadith, especially, were the most fruitful in revealing the truth about this group. Based on research, it appears that there is clear negligence of moving the efforts from a personal level to an organized country or institution level so to respond to the false claims of those alligators. The researcher's most important recommendations are the holding of international conferences and seminars that discuss this issue. The establishment of a chair that is interested in interdisciplinary studies including the sciences of interpretation, hadith and creed - mainly in the field of shubohat (claims). Reconsidering the curriculum taught at schools and universities and their syllabuses; and having special classes that teach about this phenomenon.

Keywords: efforts of contemporary scholars, Quranists.

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

فإن السّهام المسمومة قد كثرت في هذا الزمان وكثر مصوبوها وتنوعت مشاربهم ومرجعياتهم، لكنها اتفقت على هدف واحد هو الطعن في الإسلام والنيل منه، وكان من ضمن تلك المحاولات تلك الفكرة التي سمى أصحابها أنفسهم (القرآنيون)، ليُضفوا على فكرهم رونقاً وبهاءً، مغررين بهذه التسمية مجموعة من ضعاف العلم والعقل والدين، ظانين أنهم بهذا الفكر يتبعون القرآن ولا يدرون أنهم يتنكرون له ويتعدون عنه جملة وتفصيلاً.

وما كان من أتباع هذا الدين الحنيف والمخلصين له إلا أن يجعلوا من فكرهم وحميتهم سدّاً منيعاً حول القرآن والسنة دفاعاً عنهما وبياناً لمكانتهما وقدرهما.

ولذلك جاء هذا البحث الموسوم ب(جهود المعاصرين في الرد على القرآنيين، عرض ونقد)^(١)؛ لبيان تلك الجهود التي بذلت في هذا الموضوع، ثم الخروج بمنهج تأصيلي يتواءم مع متطلبات العصر، ويجمع بين الأصالة والحداثة - بمفهومها الإيجابي - للرد على هذه الشبهة وأمثالها، وبيان الجهات التي ساعدت وأسهمت في ترويح هذا الفكر، والذي أصبح عملاً مؤسسياً ليس له هدف إلا الطعن في القرآن والسنة الشريفة؛ راجين

من ذلك أن يكون هذا البحث عملاً يقتفى ومنهجاً يحتذى في تأصيل الجهود التي تبذل للدفاع عن القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة.

أهداف الدراسة:

- بيان حقيقة القرآنيين ونشأتهم وتطورهم.
- إبراز جهود الباحثين المعاصرين في الرد على شبهات القرآنيين وكشف حقيقتهم.
- بيان المنازع الحقيقية والموارد الأصلية لأهل الشبهات والطاعنين في القرآن الكريم والسنة الشريفة.
- تقييم الجهود المبذولة في هذا المضمار وبيان ما لها وما عليها.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاطلاع على ما كتب في هذه القضية لم نجد بحثاً متخصصاً جمع الجهود التي تظافت في الرد على القرآنيين، وغالب ما كتب هو في الرد المفصل أو الجمل على القرآنيين وشبهاتهم، علماً أن هذه الكتابات ستكون موضع الدراسة والنقد والتمحيص، ثم التقييم، ونذكر من الدراسات السابقة التي وقفنا عليها ما يأتي:

١. شبهات القرآنيين حول السنة النبوية، للأستاذ الدكتور محمود بن محمد مزروعة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ.

٢. القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، لخادم حسين بخش، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، الطائف، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ.

(١) أصل هذا البحث مشروع بحثي مدعوم من عمادة البحث العلمي بجامعة الجوف، وتم اختصار أجزاء منه لأغراض النشر.

المطلب الرابع: الشعراوي في تفسيره (الخواطر)
المطلب الخامس: محمد صالح العثيمين في تفسيره.
المبحث الثاني: جهود المعاصرين من المحدثين
والمفكرين في الرد على القرآنيين.

المطلب الأول: جهود عبد الرحمن
المعلمي اليماني.

المطلب الثاني: جهود محمد محمد أبو شبهة.
المطلب الثالث: جهود محمد بن ناصر
الدين الألباني.

المطلب الرابع: جهود المعاصرين من المفكرين في
الرد على القرآنيين.

المبحث الثالث: تقييم الجهود المبذولة في الرد
على القرآنيين.

الخاتمة: وفيها أبرز نتائج البحث وتوصياته.
وقد بذلنا في هذا البحث جهدنا، فإن كان من
صواب فمن الله وحده وإن كان من خطأ فمن
أنفسنا والشيطان.

التمهيد:

أولاً: التعريف بمصطلح القرآنيين:

مصطلح القرآنيين أحد المصطلحات التي تبرا
لفظها من معناها، ونستطيع أن نستخلص التعريف
الآتي، فنقول:

هو اسم يطلق على ملة قصرت
مصادر التشريع - زعموا - على القرآن
الكريم وحده، وأنكرت السنة وجميع
مصادر الشريعة.

٣. شبهات القرآنيين، لعثمان بن شيخ علي،
مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
وغيرها من الدراسات التي ستبين في ثنايا الحديث
عن الجهود في الرد على القرآنيين.

٤. القرآنيون العرب وموقفهم من التفسير،
لجمال محمد أحمد هاجر، وهي رسالة دكتوراه في
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٥ هـ.

٥. موقف القرآنيين المعاصرين من مسائل
العقيدة، وهي رسالة ماجستير قدمت في قسم
الشريعة في كلية العلوم والآداب بجامعة الملك
عبد العزيز، ١٤٣٨ هـ.

خطة البحث:

يتكون هذا البحث من مقدمة وتمهيد وأربعة
مباحث وخاتمة، كما يأتي:

المقدمة: وتشتمل على أهداف البحث ومنهجه
والدراسات السابقة.

التمهيد، ويشتمل على تعريف القرآنيين وبيان
نشأتهم وأهدافهم ومنهجهم.

المبحث الأول: جهود المعاصرين من أهل
التفسير في الرد على القرآنيين.

المطلب الأول: محمد جمال الدين القاسمي في
تفسيره (محاسن التأويل).

المطلب الثاني: محمد رشيد رضا في
تفسيره (المنار).

المطلب الثالث: ابن عاشور في تفسيره
(التحرير والتنوير).

الجديد ومدافعة عن قضاياها وأفكارها؛ فإن ذلك كان في بدايات القرن الرابع عشر الهجري، في شبه القارة الهندية على يد زمرة من أبناء تلك البقعة التي تفرّعت فيما بعد إلى ثلاث دول.

وكان هؤلاء المؤسسون ممن تأثروا بالفكر الغربي، ورأوا في التمسك بالسنة عائناً عن التقدم، ومضعفاً للجامعة الإسلامية، وتنفيذاً لمؤامرة أعجمية، فحاءوا بما لم يأت به من سبقهم من أهل الضلال، فأنكروا حجية السنة كلياً، ولم يُفرّقوا بين متواترة مجمع عليها وغير ذلك بل سلكوا مسلكاً واحداً وهو الردّ والدفع^(١).

ثالثاً: أهداف القرآنيين:

إن الناظر في نتاج القرآنيين التألفي والإلكتروني المقروء والمسموع؛ ليستطيع أن يستشعر الأهداف التي أنشئ من أجلها فكر هذه الجماعة، وإن كل أولئك الذين يشدون على أيدي هذه الجماعة أو نظائرها ليعلمون في أنفسهم أن منهجهم منهج باطل فاسد يخالف المعلومات من الدين بالضرورة، ولولا ما تقدمه لهم مراكز الاستشراق والتبشير وأعداء الإسلام لم نجد لهم عدة ولا عتاداً ولا عدداً.

ونبه هنا إلى أن هذه التسمية جاءت من عند أنفسهم، يتطلبون بها المدح، ويلبسون على الناس معناها، وهم سعيّدون جدّاً بهذه التسمية لما فيها من شرف الانتساب للقرآن الكريم، ولما فيها من تعمية على من يجهل عقيدتهم وأصول دينهم.

ثانياً: بيان نشأتهم وتطورهم:

قدمنا سابقاً أن أفكار القرآنيين كلها قائمة على إنكار السنة، وليس المقصود منها الثناء على القرآن الكريم، ولا الأخذ منه، فهذا الأمر أصبح من الواضح بمكان بحيث لا يخفى على باحث في الدراسات القرآنية العقديّة. وإذا كان الأمر كذلك فإننا نستطيع القول بأن نشأة هذه الفرقة بدأت مع نشأة فكرة إنكار السنة، والحد من قيمتها من حيث إثباتها أو إثبات حجيتها، أو ما كان ضد ذلك من إنكار ثبوتها أو إنكار حجيتها أو إنكار بعض ذلك. وعليه؛ فإننا نرى أن كل من أنكر السنة برمتها، أو شيئاً منها، يعتبر من المؤسسين لهذا الفكر، والمساعدين على تطويره والبعد في فساد وزيغ.

وقد بدأ إنكار السنة مع ظهور الفرق المنحرفة كالمعتزلة والخوارج والشيعة وغيرهم، تلك الفرق التي رأت في السنة الصحيحة معارضة لمبادئها وعقائدها وأهدافها؛ فجنحت إلى إنكار السنة مغلفةً ذلك بثنائها على القرآن الكريم، والدعوة إلى الرجوع إليه دون غيره، في دعوة ظاهرها الحق وباطنها من قبله الفساد.

أما بالنسبة لظهورها حركةً مستقلة داعيةً لاسمها

(١) انظر: شبهات القرآنيين، لعثمان معلم شيخ علي، ص ٣، (مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة)، وهو بحث محكم قدم لندوة عن العناية بالقرآن الكريم رعاها المجمع.

٥. التمهيد والترويج لأفكار جميع الفرق التي انخرقت عن جادة الإسلام وطريق الحق؛ ولذلك لن تجد في كتابات أتباع ديانة القرآنيين هجومًا ولا ردًا على الفرق التي طعنت في القرآن الكريم، أو شككت في أحكامه، أو انتقصت من لغته وإعجازه وبيانه، والسبب في ذلك هو اشتراك أتباع هذه الديانة مع أولئك الطاعنين المشككين في الهدف والمقصد، وإن اختلفوا في الوسيلة والطريقة.

٦. تأصيل المنهج التسلسلي والتزاتي في إيراد الشبه حول القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وذلك بحجة حرية التفكير، وبحجة أن القرآن الكريم هو الذي دعا إلى التفكير والتدبر والتذكر وأن الإسلام دين العلم والعقل.

هذه أهم الأهداف التي أنشئت من أجلها ديانة القرآنيين، وهي بالنهاية ترجع إلى هدف عام واحد هو تدمير الإسلام، عقيدة وأحكامًا وأخلاقًا، ونقل المسلمين من الافتخار بخصوص دينهم، إلى قبول كل فاسد وباطل.

رابعًا: منهج القرآنيين:

قبل أن نعرض لجهود المعاصرين في الدفاع عن القرآن الكريم والسنة النبوية لا بد أن نبين شيئًا من منهج القرآنيين، والذي يتمثل في الآتي:

١. زعمهم أن القرآن الكريم هو وحده مصدر التشريع في الإسلام؛ ولذلك ألف أحد كتّابهم وهو: أحمد صبحي منصور^(١) كتابه: "القرآن وكفى"^(١).

(١) هو أحمد صبحي منصور محمد علي، مفكر مصري، كان يعمل

وإننا من خلال مطالعاتنا وقراءتنا وتبعنا لمنشوراتهم - على اختلاف أنواعها وأشكالها- نستطيع أن نختصر أهداف هذه الجماعة فيما يأتي:

١. إنكار سنة المصطفى ﷺ بشكل تام.

٢. إلغاء أكبر قدر ممكن من آيات القرآن الكريم؛ وذلك أن كثيرًا من آيات القرآن الكريم يتوقف فهمها على ما صح في السنة النبوية الصحيحة، فكم من مجمل في القرآن الكريم فصلته السنة، وكم من مطلق قيده، وكم من مبهم أوضحته، وكم من عام خصصته، إلى غير ذلك من وجوه إيضاح السنة الشريفة للقرآن الكريم.

٣. تعرية ألفاظ القرآن من معانيها الحقيقية، والنأي بها إلى العموميات المجملة المحتملة لكل دين أو فكر أو مذهب أو رأي، وإنه لا يخفى القرآنيين تلك القاعدة التي تقول: إن القرآن الكريم حمال أوجه، وبالطبع هم لا يريدون ما يريد من قال هذه المقولة، ولكنهم يريدون منها شيئًا آخر يختلف تمامًا عن مرادها الصحيح الذي يتوافق مع رسالة القرآن الكريم وهدفه وهداياته.

٤. التشكيك بأصول الدين والمعلومات منه بالضرورة؛ وذلك لتقليل مساحة تعظيم المسلمين لمرتكزات دينهم وأصول عقيدتهم وإيمانهم، وهذا الأمر وإن وصل إلى ما وصل إليه في العصر الحديث إلا أن له أصولًا وتاريخًا سابقًا، ومحاولات قديمة تُعد البذرة الأساس لهذا المنتج الماكر.

القوم الذين جاء منهم وإليهم النبي أو الرسول، إلى أن نزل القرآن الكريم خاتماً للرسالات السماوية بلسان عربي مبين^(٢).

٣. العمل على إنكار السنة بأكملها^(٣).

٤. إنكار التراث العلمي لعلماء المسلمين بما في ذلك المذاهب الأربعة المشهورة.

٥. الدعوة إلى التحرر الفكري والانطلاق من العقل وحده؛ لاستنباط القضايا الدينية معتمدين في ذلك على شبهتهم في الاقتصار على القرآن الكريم.

٦. لي أعناق النصوص والانحراف بفهم الآيات التي تعكر عليهم مذهبهم وملتهم، فمن المعروف لدى كل عاقل أن الأدلة الكثيرة المتكاثرة في القرآن الكريم تقضي بفساد دينهم وبطلان عقيدتهم، فليس أمامهم إلا تأويلها وتحريفها بالطريقة التي يظنون أنها تعضد رأيهم وتقوي شبهاتهم.

٧. تأليف قلوب غير المسلمين وتقريبهم من نحلة القرآنيين، وذلك بمحاولة إلغاء الفوارق بين المسلمين وغيرهم من اليهود والنصارى وأتباع الديانات ذات الأصول السماوية.

٨. الإفادة من مؤلفات مناصري السنة والمحتجين بها في تتبع بعض العبارات التي توهم التقليل من شأن السنة من جهة أو عدم الاحتجاج بها من جهة أخرى.

٢. الدعوة إلى نبذ مفهوم الإسلام الخاص والدعوة إلى قضية الإسلام العام على الوجه الفاسد لا على وجهها الصحيح، يقول أحمد منصور: (تميزهم محمدًا وحده بذكر اسمه مع الله تعالى في شهادة الإسلام يتجلى فيه التفريق بين الرسل، فلماذا نذكر محمدًا دون عيسى أو موسى أو لوط أو إبراهيم أو إسحاق أو يونس... إلخ)، ويقول - أيضًا - : (وتمييز (محمد) بذكره وحده الى جانب الله تعالى في شهادة الإسلام فيه تفضيل صريح لمحمد على من سبقه من الأنبياء و المرسلين ،وليس من حق أي مخلوق أن يفاضل بين الأنبياء، ومن يفعل ذلك لا يكون فقط كافرًا بالله تعالى ورسوله، ولكن يكون - أيضًا - مدعيًا للألوهية دون أن يعلم)، ويقول - أيضًا - : (وتمييز (محمد) بذكره إلى جانب الله تعالى في شهادة الإسلام يجعل الإسلام دين محمد وحده دون بقية الأنبياء ، وهذا تناقض مع القرآن الكريم الذي يؤكد أن الإسلام هو دين الله تعالى الذي نزلت به كل الرسالات السماوية، كل منها ينطق بلسان

مدرسًا في جامعة الأزهر، لكنه فُصل في الثمانينيات بسبب إنكاره للسنة النبوية، وتأسيسه المنهج القرآني الذي يكتفي بالقرآن مصدرًا وحيدًا للتشريع الإسلامي، هاجر إلى الولايات المتحدة عام ٢٠٠٠م ليعمل مدرسًا بجامعة هارفارد وبالوقفية الوطنية للديمقراطية، ثم لينشئ مركزه الخاص "المركز العالمي للقرآن الكريم"، لينشر فكره من خلاله. انظر: موقع الموسوعة الإسلامية على الشبكة العنكبوتية.

(١) صدر عن مؤسسة الانتشار العربي عام ٢٠٠٥م، وقد صدرته أكثر من دولة بداية ظهوره.

(٢) انظر: القرآن وكفى، لأحمد صبحي منصور، ص ٥٠-٥٥.

(٣) كما سيتبين لنا في صفحات البحث القادمة.

في جذوره وفروعه، وإن لم يكن اسم (القرآنيين) اشتهر بمثل ما اشتهر به الآن.

ثانيها: أننا آثرنا اختيار هؤلاء المفسرين على غيرهم؛ لتنوع مدارسهم، واختلاف مناهجهم واتجاهاتهم في التفسير، وهم - مع اختلافهم - أيضاً - في مسائل علوم القرآن - مجتمعون على إنكار هذه البدعة وإظهار فسادها.

ثالثها: أن ما ذكرناه من كلامهم إنما هو على سبيل الذكر لا الحصر، وقد رتبناهم حسب تاريخ وفاتهم، رحمهم الله وغفر لنا ولهم.

تنبيه: قبل أن نشرع في المقصود ننبه إلى أن كثيراً مما سنذكره هنا من جهود العلماء إنما في الرد على بدعة إنكار السنة والتي هي بعينها الفكرة التي قامت عليها بدعة القرآنيين، وليس بالضرورة أن يكون كل هؤلاء قد صرحوا باسم القرآنيين. وبما أن الفكرة واحدة من حيث أساسها وهدفها وأساليبها فلا ضير إذن من استصحاب ما يخدم الجهود وبعضها.

المطلب الأول: القاسمي (ت ١٣٣٢هـ) في

تفسيره "محاسن التأويل":

من العلماء الذين انتصروا لسنة المصطفى ﷺ وردوا شبه الغاشمين من القرآنيين، الإمام جمال الدين القاسمي، وقد دافع رحمه الله عن هذه القضية في مواطن كثيرة من تفسيره، نختصر منها ونلخصها فيما يأتي:

(١) الاستدلال على بطلان منهج القرآنيين

بالقرآن نفسه، ومما استدل به رحمه الله قوله تعالى:

٩. الاعتماد على طعون الفرق الأخرى في السنة النبوية، وخاصة ما كتبه كثير من أدياء العلم ومزوّري المعرفة من الطعن في صحيح البخاري أو صحيح مسلم أو كتب السنة المعتمدة.

١٠. محاولة إشاعة أن هذا الفكر هو فكر المثقفين والمتعلمين، مستخدمين في ذلك تزويق العبارة وتغليف المعلومة بقلب الحداثة والمعاصرة.

١١. إيجاد الفكرة التي تتوافق مع هواهم ثم البحث عما يوهم موافقتها في القرآن الكريم.

١٢. إيهام الناس بأن منطلق هذا الفكر هو العقل وحرية التفكير، ولا يخفى على المتابعين والباحثين في حركة الفرق المعاصرة استعمال الأساليب المتنوعة في جذب العقول واستمالتها بحجة الخلاص من طرق التفكير القديمة.

١٣. إلباس الباطل حقاً ودس السم في الدسم، فكتابتهم تُظهر لغير المتمرس في علم الشبهات ورذدها مزهراً ناضجاً فيها احترام القرآن الكريم وتقديسه، ولكن باطنها من قبله الشك والطعن والتزوير.

المبحث الأول: جهود المعاصرين من أهل

التفسير في الرد على القرآنيين:

ذكرنا في المبحث السابق بعض المقدمات المهمة عن القرآنيين، ونشرع في هذا المبحث بذكر بعض جهود المفسرين في محاربة هذا الفكر المنحرف، ونوه هنا إلى أمور ثلاثة:

أولها: أنّ جهود المفسرين أكبر من أن تحويها دراسة مختصرة كهذه، فإنهم جميعاً حاربوا هذا الفكر

(٣) بيانه أن الاختصار على القرآن الكريم وحده إنما هو مسلك مخالف لمسلك الصحابة والتابعين والأمة جميعها، وذكر في ذلك ما ورد في الصحيح عن ابن مسعود أنه قال: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَأَشْمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّامِصَاتِ وَالْمُتَمَصَّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُعَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ، قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَأَتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنْتَ لَعَنْتَ الْوَأَشْمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَمَصَّصَاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُعَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ!! فَقَالَتِ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحِي الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ؟ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِالْمُرْسَلِينَ فَخَذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَأَنْتَهُمْ ﴾ الحديث^(٤).

(٤) بين القاسمي أن فهم كثير من ألفاظ القرآن الكريم متوقف على السنة، قال القاسمي: (ويدل على هذا المعنى، بعد الاستقراء المعبر، أنه محتاج إلى كثير من البيان، فإن السنة على كثرتها وكثرة مسائلها، إنما هي بيان للكتاب كما سيأتي شرحه إن شاء الله تعالى، وقد قال الله تعالى: ﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾ [النحل: ٤٤]، وفي الحديث:

أخرجه أبو داود في سننه برقم (٤٦٠٥) وصححه الألباني، (دار الكتاب العربي، بيروت).

(٤) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج ١، ص ٨١، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٦٩٥).

﴿ فَإِنْ نَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ ﴾ [النساء: ٥٩]، قال القاسمي: (قال ميمون بن مهران: الرد إلى الله إلى كتابه، والرد إلى الرسول إذا كان حياً، فلما قبضه الله فالرد إلى سنته)^(١)، واستدل - أيضاً - بقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، وبقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَنْتُمْ بِالْمُرْسَلِينَ فَخَذُوهُ ﴾ [الحشر: ٧].

(٢) الاستدلال على ذلك بالسنة الصحيحة، وقد أورد كثيراً من النصوص الصريحة في فساد منهج القرآنيين وحجية السنة، ومنها: قول النبي ﷺ: « مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ »^(٢)، وقوله ﷺ: (لَا أُلْفِيَنَّ أَحَدَكُمْ مُتَكَبِّرًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي مِمَّا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيُفْسِدُ: لَا نَدْرِي، مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعَاهُ، وَإِلَّا فَلَا)^(٣)، وغيرها من الأحاديث.

(١) انظر: محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ج ١، ص ٨٤.

(٢) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج ١، ص ٨٧، والحديث أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٤٩٨١)، (تحقيق: مصطفى ديب، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧هـ)، وأخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٥٢)، (تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت).

(٣) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج ١، ص ١١٠، والحديث

وبالنظر إلى منهج الشيخ محمد رشيد فيما فسره من آيات، نستطيع أن نفصل الأمر إلى قضيتين اثنتين لا يتضح منهجه إلا بالفصل بينهما:

الأولى: مكانة السنة من القرآن، فهو يوافق الإمام الشاطبي موافقة تامة في أن القرآن الكريم مقدّم على السنة، وأن ما يقوله بعض الناس من أنّ السنة قاضية على الكتاب كلام غير مقبول، وقد رد هذا الكلام بأنّ السنة مبينة لما في القرآن الكريم، وأنه لا يوجد حكم جاءت به السنة إلا وله أصل كلي في القرآن الكريم.

والأخرى: حجية السنة، فالناظر إلى منهجه يجزم يقيناً بأن السنة حجة يجب اتباع ما فيها^(٣)، فهي المفصلة لمجمل القرآن والمبينة لمبهمه، والمقيدة لمطلقه، وهكذا.

يقول أحمد شاکر (ت ١٣٧٧هـ) عن الشيخ رشيد رضا: (ثم هو يظهر الناس على الأحكام التي تؤخذ من الكتاب والسنة، غير مقلد ولا متعصب، بل على سنن العلماء السابقين: كتاب الله وسنة رسوله، ولقد أوتي الأستاذ محمد رشيد من الاطلاع على السنة ومعرفة عللها وتمييز الصحيح من الضعيف منها؛ ما جعله حجة وثقة في هذا المقام، وأرشده إلى فهم

«مَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا قَدْ أُعْطِيَ مِنَ الْآيَاتِ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ الْبَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيَتْ وَحِيًّا أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، وإنما الذي أعطي القرآن، وأما السنة فبيان له، وإذا كان كذلك فالقرآن على اختصاره جامع، ولا يكون جامعاً إلا والمجموع فيه أمور كليات؛ لأن الشريعة تمت بتمام نزوله^(١).

ولا بد أن نبه هنا إلى قضية مهمة عند القاسمي، فإنه قد ذكر بعد القاعدة العاشرة^(٢) الخلاف في قول بعض أهل العلم بأن السنة قاضية على الكتاب، فما ذكره من رد هذه المقولة وغيرها لا يطعن أبداً في مسألة حجية السنة، بل هو أراد أن يوجه هذه العبارة ومثيلاتها إلى ما لا يوهم أفضلية السنة على القرآن الكريم، مع تقريره الواضح وبرهانه الساطع على حجية السنة وإنكار الاكتفاء بالقرآن الكريم دون غيره من مصادر التشريع.

المطلب الثاني: محمد رشيد رضا

(ت ١٣٥٤هـ) في تفسيره المنار:

من المسائل الهامة التي بحثها الشيخ محمد رشيد في المنار مكانة السنة، وقد تبع في أكثر كلامه ما ذهب إليه الشاطبي في "الموافقات"، شأنه في ذلك شأن كثير ممن جاء بعد الشاطبي وتكلم في هذه المسألة.

(٣) ولك أن تراجع صفحات كتبه في التفسير وغيره، فإنك لن

تجد إلا احتجاجاً واعتزازاً بالسنة. انظر: تفسير القرآن الحكيم

"تفسير المنار"، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، الطبعة الثانية، ١٣٦٦هـ، ج ٦، ص ١٣٨.

(١) انظر: محاسن التأويل، القاسمي، ج ١، ص ٨٠-٨١.

(٢) انظر: المصدر السابق، ج ١، ص ١٠٧-١١٦.

أولاً: أنه فسّر قوله تعالى: ﴿فَإِنْ نَنْزَعُكُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ﴾ بالرجوع إلى السنة في حياته وبعد وفاته، حيث قال رحمه الله: (ومعنى الرد إلى الرسول إنهاء الأمور إليه في حياته وحضرته، كما دل عليه قوله في نظيره (إلى الرسول) فأما بعد وفاته أو في غيبته، فالرد إليه الرجوع إلى أقواله وأفعاله، والاحتذاء بسنته)^(٤).

ثانياً: أثبت ابن عاشور أن من مقتضيات الإقرار برسالة محمد ﷺ الأخذ بسنته وطاعته فيما أمر به ونهى عنه، فقد قال رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠]: (فاحترس بقوله: من يطع الرسول فقد أطاع الله عن توهم السامعين التفرقة بين الله ورسوله في أمور التشريع، فأثبت أن الرسول في تبليغه إنما يبلغ عن الله، فأمره أمر الله، ونهيه نهي الله، وطاعته طاعة الله، وقد دل على ذلك كله قوله: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ لاشتغالها على إثبات كونه رسولاً واستلزامها أنه يأمر وينهى، وأن ذلك تبليغ لمراد الله تعالى)^(٥).

ثالثاً: جاء ابن عاشور بلطيفة عجيبة رائعة بينت مكانة السنة من القرآن وذلك في قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾، حيث بين رحمه الله تعالى أن ﴿الذِّكْرَ﴾ في الآية غير

القرآن حق فهمه^(١)، ويقول الشيخ الألباني (ت ١٤٢٠هـ) عن مجلة المنار - بعد أن امتدح الشيخ رشيد رضا وجميله عليه في توجيهه لعلم الحديث-: (أصبحت نواة لفتت أنظار المسلمين للعناية بأحاديث الرسول عليه السلام)^(٢).

هذا وإن كنا لا نوافق في بعض ما ذكره أثناء بحثه لهذه القضية^(٣) إلا أن قوله: (فما صح من بيانه لا يعدل عنه إلى غيره) دليل واضح وصریح على حجية السنة عنده، وما ذكره من تفضيل القرآن على السنة في كثير من القضايا لا يضر مسألة الحجية.

المطلب الثالث: ابن عاشور (ت ١٣٩٤هـ)

في تفسيره "التحرير والتنوير":

ومن المفسرين البارزين الذين عرضوا لقضية الاختصار على القرآن وحده دون غيره الإمام المجدد ابن عاشور في تفسيره "التحرير والتنوير"، وقد بين في مواطن كثيرة وجوب الأخذ بالسنة وبغيرها من مصادر التشريع، وأن الاختصار على القرآن وحده مسلك فاسد باطل، وأبين ذلك بما يأتي:

(١) انظر: مجلة المنار، المجلد الواحد والثلاثون، الجزء الثالث، ربيع

الآخر ١٣٤٩هـ، ص ١٩٣.

(٢) انظر: آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار، دراسة تحليلية نقدية، لمحمد بن رمضان رضاني، رسالة علمية، مجلة البيان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤هـ، ص ٦٤.

(٣) كردوده على بعض العلماء في مكانة السنة، ورفضه لوجود زيادة في السنة على القرآن الكريم، وكتضعيفه لحديث: (لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته...) الحديث.

(٤) انظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية

للنشر، تونس، ج ٥، ص ٩٨.

(٥) انظر: المصدر السابق، ج ٥، ص ١٣٥.

بقرائن تبليغ الوحي؛ لئلا يتوهم السامع أن طاعة الرسول المأمور بها ترجع إلى طاعة الله فيما يبلغه عن الله دون ما يأمر به في غير التشريع، فإن امتثال أمره كله خير^(٢). وفي هذا الكلام رد واضح من ابن عاشور على ما يدعيه القرآنيون من أن الأوامر التي جاءت في القرآن الكريم من اتباع الرسول مقرونة بأن تكون مقترنة بالوحي لا أكثر.

المطلب الرابع: الشعراوي (ت ١٤١٨هـ) في تفسيره "الخواطر":

ومن العلماء المعاصرين الذين ردوا قول القرآنيين وشنعوا عليهم مذهبهم الشيخ الشعراوي رحمه الله تعالى، فإنه يقول عند تفسير قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ [النساء: ١٣]: (إذن فقولهم الأحق دليل على صدق الرسول ﷺ فيما أخبر، ويسخرهم الحق، فينطقون بمثل هذا القول لنستدل من قول خصوم النبي ﷺ على صدق كلام النبي ﷺ، والحق يقول: ﴿ وَمَنْ يُطِغِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ ﴾^(٣)).

وقد رد على شبهاتهم بما يأتي:

أولاً: قولهم بأن الدليل مقتصر على ما في القرآن الكريم فقط.

﴿ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾، وأن المراد من الذكر هو السنة الشريفة وليس القرآن كما يظن بعض الناس، ولو كان المراد منها القرآن لقال: لتبينه، فلما لم يقل ذلك تبين لنا أنها غيره، فهي السنة، يقول رحمه الله: (والإظهار في قوله تعالى: ما نزل إليهم يقتضي أن ما صدق الموصول غير الذكر المتقدم، إذ لو كان إياه لكان مقتضى الظاهر أن يقال لتبينه: للناس، ولذا فلاحسن أن يكون المراد بما نزل إليهم الشرائع التي أرسل الله بها محمداً ﷺ فجعل القرآن جامعاً لها ومبيناً لها ببليغ نظمه ووفرة معانيه)^(١).

وقد ذكر ابن عاشور هنا قولاً آخر وهو أن يكون المراد بالذكر القرآن الكريم نفسه، وهنا يكون البيان - أيضاً - من سنة النبي ﷺ فهو الذي يبين المعاني، دون نظر إلى ما جاء به من الشرائع، وبهذا يكون مؤدى التفسيرين واحداً، وهو الحاجة إلى السنة؛ لبيان القرآن الكريم إما ببيان معانيه، وإما بالشرائع المنزلة على النبي ﷺ.

رابعاً: يرى ابن عاشور أن طاعة الرسول ﷺ واجبة بحد ذاتها وإن كان أمره غير مقترن بقرائن تبليغ الوحي، يقول رحمه الله: (وإنما أعيد فعل: ﴿ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ﴾ مع أن حرف العطف يغني عن إعادته إظهاراً للاهتمام بتحصيل طاعة الرسول لتكون أعلى مرتبة من طاعة أولي الأمر، ولينبه على وجوب طاعته فيما يأمر به، ولو كان أمره غير مقترن

(٢) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ٥، ص ٩٧.

(٣) انظر: تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي،

مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧م، ج ٤، ص ٢٠٤٠.

(١) انظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج ١٤، ص ١٣٦.

أَرِيكَتِهِ فَيَقُولُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللَّهِ فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَلَالًا اسْتَحْلَلْنَاهُ وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ حَرَامًا حَرَمْنَاهُ وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَمَا حَرَّمَ اللَّهُ"^(٢)؛ حيث جعله بنفسه دليلاً على معجزة النبي ﷺ، يقول الشعراوي:

(أروي هذا الحديث عن الرسول كي تعرفوا غباء القائلين بهذا، ولنقل لهم: قولكم هذا دليل على صدق الرسول، بالله فلو لم يأت واحد بمثل قولكم بأنه لا يوجد إلا القرآن؛ بالله ماذا كنا نقول للمحدثين الذين رووا حديث رسول الله، ولو لم يقولوا هذا لقلنا: النبي قال: يتكئ رجل على أريكته ويتحدث، ولم يتكلم أحد بما يخالف هذا الكلام، إذن فوجود هؤلاء دليل صدق رسول الله ﷺ)^(٣).

ثالثاً: إن بعض آيات القرآن الكريم لا يمكن فهمها دون السنة، فهي مفصلة ومبينة ومقيّدة وشارحة له، يقول الشعراوي رحمه الله: (لذلك جاء بالأمر بطاعة الرسول، وهكذا صارت للرسول طاعة مستقلة، وأرادها الله حتى يَرُدَّ مقدماً على الذين يسألون عن نص فيه كل تفصيل، بينما نجد هذه التفاصيل في السنة النبوية الشريفة، ومثال ذلك عدد ركعات كل صلاة، إنها لم تَرُدَّ في القرآن، ولكننا عرفناها تفصيلاً من الرسول، وفَوَّضَ الحق رسوله في

رد الشيخ الشعراوي شبهتهم بأن الرسول ﷺ مفوض من قبل الله تعالى في التشريع، فقال: (ونرى من يقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال أحللناه، وما وجدنا فيه حرام حرمانه، هؤلاء لم يلتفتوا إلى أنّ الرسول ﷺ مفوض في التشريع، وهو القائل: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾ إنه ﷺ مفوض من الله، وهؤلاء الذين ينادون بالاحتكام إلى القرآن فحسب يريدون أن يشككوا في سنة رسول الله ﷺ، إنهم يحتكمون إلى كتاب الله، وينسون أو يتجاهلون أنّ في الكتاب الكريم تفويضاً من الله لرسوله ﷺ أن يشرع، هم يقولون: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال أحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمانه، وقولهم لمثل هذا الكلام دليل على صدق رسول الله ﷺ فيما يقول، لأنهم لو لم يقولوا لقلنا: يا رسول الله لقد قلت: روى المقدم بن معدي كرب قال: حرم النبي ﷺ أشياء يوم خيبر منها الحمار الأهلي وغيره، فقال رسول الله ﷺ: يوشك أن يقعد الرجل منكم على أريكته يحدث بحديثي فيقول: بيني وبينكم كتاب الله فما وجدنا فيه حلالاً استحللناه، وما وجدنا فيه حراماً حرمانه، وإن ما حرم رسول الله ﷺ كما حرم الله، فكيف يا سيدي يا رسول الله ذلك، ولم يقل أحد هذا الكلام؟)^(١).

ثانياً: استدل على حجية السنة بقول ﷺ: (أَلَا هَلْ عَسَى رَجُلٌ يَبْلُغُهُ الْحَدِيثُ عَنِّي وَهُوَ مُتَكَيِّئٌ عَلَيَّ

(٢) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج ٤، ص ٦٤٦٢، والحديث

أخرجه الترمذي في سننه، برقم (٢٦٦٤)، تحقيق: أحمد

شاکر= ومحمد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، مكتبة ومطبعة

مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥هـ.

(٣) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج ٤، ص ٦٤٦٢.

(١) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج ٤، ص ٢٠٣٩.

التشريع: ﴿ وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(١).

رابعاً: بيان الشعراوي أننا ملزمون بكل ما جاءت به السنة من التشريعات والأوامر، مع التفريق بين سنية الدليل وسنية الحكم، يقول الشعراوي: (لا بُدَّ أن تُفَرَّقَ هنا بين سُنِّيَةِ الدليل وسُنِّيَةِ الحكم، حتى لا يلتبس الأمر على الناس، فسُنِّيَةِ الدليل تعني وجود فَرَضٍ، إلا أن دليله ثابت من السنة، وذلك كبيان عدد ركعات الفرائض: الصبح والظهر والعصر والمغرب والعشاء، فهذه ثابتة بالسنة وهي فَرَضٌ، أما سُنِّيَةِ الحكم: فهي أمور وأحكام فقهية وردت عن رسول الله ﷺ، يُثَابَ فاعلها ولا يُعاقب تاركها، فحين يُبَيِّنُ لنا الرسول بسلوكه وأُسُوتِهِ حُكْمًا ننظر: هل هي سُنِّيَةِ الدليل فيكون فَرَضًا، أم سُنِّيَةِ الحكم فيكون سُنَّةً؟ ويظهر لنا هذا - أيضاً - من مواظبة الرسول على هذا الأمر، فإنَّ واطب عليه والتزمه فهو فَرَضٌ، وإنَّ لم يواظب عليه فهو سُنَّةً)^(٢).

رابعاً: الاستدلال بصريح القرآن الكريم على وجوب اتباع سنة النبي ﷺ ومن الآيات الكريمة التي استدلت بها - رحمه الله -:

• ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾.

(١) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج٦، ص٣٣٨.

(٢) انظر: الخواطر، الشعراوي، ج١٣، ص٧٩.

• ﴿ مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴾.

• ﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَاحْذَرُوا فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ [المائدة: ٩٢]

• ﴿ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

المطلب الخامس: الشيخ محمد صالح

العثيمين (ت ١٤٢١هـ):

ومن المفسرين المعاصرين الذين دافعوا عن السنة وردوا شبه جماعة القرآنيين الشيخ ابن عثيمين رحمه الله، وقد نشر دفاعه عن السنة وردة على هؤلاء في كثير من كتبه معتمداً في ذلك على آيات القرآن الكريم نفسه؛ فهو الحجة القوية التي تدمغ باطلهم، وتلخيص رأيه رحمه الله في ذلك ما يأتي:

أولاً: يرى الشيخ رحمه الله أن منزلة السنة في التشريع كمنزلة القرآن بالضبط، وأن قولنا: إن السنة هي المصدر الثاني، إنما هو على سبيل العدد لا على الترتيب، حيث قال: (والسنة هي المصدر الثاني في التشريع، ومعنى قولنا: "المصدر الثاني": يعني: في العدد، وليس في الترتيب؛ فإن منزلتها إذا صحت عن النبي ﷺ كمنزلة القرآن، لكن الناظر في القرآن يحتاج إلى شيء واحد، وهو صحة الدلالة على الحكم، والناظر في السنة يحتاج إلى شيئين: الأول: صحة نسبتها إلى الرسول ﷺ، والثاني: صحة دلالتها على الحكم؛ فكان المستدل بالسنة يعاني من الجهد أكثر مما يعانيه المستدل بالقرآن؛ لأن القرآن قد كفيينا

السنة لا يرجع إليها في الأحكام الشرعية؛ أنه كافر مرتد عن الإسلام؛ لأنه مكذب ومنكر للقرآن، فالقرآن في غير ما موضع جعل السنة أصلاً يرجع إليه^(٣).

رابعاً: اعتبار اعتماد السنة والأخذ بمقتضاها أصلاً من أصول أهل السنة والجماعة

قال رحمه الله: (قاعدة أهل السنة والجماعة في العقائد وغيرها من أمور الدين، هو التمسك التام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما عليه الخلفاء الراشدون من هدي وسنة، لقول الله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، ولقوله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾، ولقوله تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾، وهذا وإن كان في قسمة الغنائم فهو في الأمور الشرعية من باب أولى، ولأن النبي ﷺ كان يخطب الناس يوم الجمعة، فيقول: «أما بعد فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار»^(٤).

ولقوله ﷺ: «عليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»^(٥)، والنصوص في

سنده؛ فسنده متواتر، ليس فيه ما يوجب الشك؛ بخلاف ما ينسب إلى الرسول ﷺ، فإذا صحت السنة عن رسول الله ﷺ كانت بمنزلة القرآن تماماً في تصديق الخبر والعمل بالحكم^(١). ويقول - أيضاً -: (وسنة النبي ﷺ مصدرٌ تشريع - أيضاً - كما قرره القرآن، قال الله تعالى: ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾^(٢).

ثانياً: أن رفض السنة والاكتفاء بالقرآن الكريم وحده مخالف لمقتضى الشهاداتين، فهو يرى أن الشهادة بأن محمداً ﷺ رسول الله تقتضي أموراً كثيرة منها: تصديقه ﷺ فيما أخبر. وامتثال أمره ﷺ دون تردد. واجتناب ما نهى عنه ﷺ دون تردد. وألا نقدم كلام أحد على كلامه ﷺ مهما بلغ من العلم والدين والإمامة.

ثالثاً: الإنكار الشديد على هذه الفرقة التي خالفت كتاب الله تعالى قبل أن تخالف السنة وتنكرها، بل إنه رحمه الله تعالى أخرج هؤلاء القوم من ربة الدين ودائرة الملة، حيث قال: (ومن أنكر أن تكون السنة أصلاً في الدليل؛ فقد أنكر أن يكون القرآن أصلاً، ولا شك عندنا في أن من قال: إن

(١) انظر: شرح العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، ١٤٢١هـ، ج ٢، ص ٥.

(٢) انظر: تفسير ابن عثيمين "تفسير الفاتحة البقرة"، لمحمد بن صالح العثيمين، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ج ١، ص ١٠.

(٣) انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٨٦٧).

(٥) أخرجه أحمد في مسنده، (تحقيق: شعيب الأرنؤوط وعادل

فكر جماعة القرآنيين، وإن كان يختلف عنهم في بعض القضايا، ومن ضمن المسائل التي بحثها رحمه الله:

أولاً: تقريره رحمه الله بأن السنة القولية والعملية سواء في الترتيب، وليس كما زعم أبو رية من إيهامه باختلاف درجتها^(٣).

ثانياً: رده رحمه الله على شبهة أوردها أبو رية مفادها: أنّ الإمام مالك كان يترك بعض الأحاديث، ولو كان الأخذ بالسنة ملزماً لما جاز لمالك أن يأخذ ما يشاء ويترك منها ما شاء، حيث بيّن المعلمي أن هذا افتراء على الإمام مالك رحمه الله، وبين أن منهج الإمام مالك هو الأخذ بجميع السنة، وما تركه مالك فلكونه منسوخاً أو ضعيف السند أو نحو ذلك من أسباب.

ثالثاً: كما أورد شبهة محمود أبو رية عن الإمام الغزالي بأنه أجاز - في كتابه القسطاس المستقيم^(٤) - ترك السنة والاقتصار على الجمع عليه، وقد رد على ذلك بأمرين:

أولهما: أن الذي في كتاب القسطاس المستقيم خلاف هذا، فقد جاء فيه: (أنه يعظ العامي الطالب الخلاص من الخلاف في الفروع بأن يقول له: "لا تشغل نفسك بمواقع الخلاف

هذا كثيرة، فطريق أهل السنة والجماعة ومنهاجهم هو التمسك التام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعده، ومن ذلك أنهم يقيمون الدين ولا يتفرقون فيه امتثالاً لقول الله تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾ [الشورى: ١٣].^(١)

المبحث الثاني: جهود المعاصرين من أهل الحديث والمفكرين في الرد على القرآنيين:
المطلب الأول: عبد الرحمن المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦هـ):

الشيخ المعلمي اليماني له جهود كبيرة في علم الحديث، وقد حقق مجموعة كبيرة من كتب السنة، وكان له نفس صادق في محاربة القرآنيين والدفاع عن السنة، ومن باب التنوع فإني أقتصر على ما كتبه رحمه الله - في كتابه الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلل والتضليل والمجازفة -^(٢) في الرد على صاحب كتاب أضواء على السنة المحمدية للأستاذ محمود أبو رية، وهو أحد حاملي

مرشد وآخرون، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ)، برقم (١٧٦٠٦)، والترمذي في سننه، برقم (٢٦٧٦)، وقال هذا حديث صحيح، وصححه الألباني في السلسلة، (مكتبة المعارف، ١٤١٥هـ)، برقم (٩٣٦).

(١) انظر: مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد ناصر السليمان، دار الوطن، الطبعة = الأخيرة، ١٤١٣هـ، ج ١، ص ٣٤.
(٢) صدر عن دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦هـ.

(٣) انظر: الأنوار الكاشفة، لعبد الرحمن المعلمي، ص ٢٢.

(٤) انظر: القسطاس المستقيم "الموازن الخمسة للمعرفة في القرآن"، لأبي حامد الغزالي، قرأه وعلق عليه: محمود بيجو، المطبعة العلمية، دمشق، ١٤١٣هـ.

حيث قال: (ومنزلة السنة من القرآن أنها مبيّنة وشارحة له تُفصّلُ جُمَلَهُ، وتوضّحُ مُشكَلَهُ، وتُقيّدُ مطلقه، وتُخصّصُ عامّه، وتبسط ما فيه من إيجاز... وقد كان النَّبيّ - صَلَّى اللهُ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ - يُبيّنُ تارة بالقول وتارة بالفعل وتارة بهما)^(٤).

وبين -أيضاً- أن السنة قد تستقل في التشريع، فقال: (وقد تستقل السنة بالتشريع أحياناً وذلك كتحریم الجمع بين المرأة وعمّتها أو خالتها، وتحریم سائر القربات من الرضاعة - عدا ما نص عليه في القرآن - إلحاقاً لهن بالحرّمات من النسب، وتحریم كل ذي ناب من السباع ومخلّب من الطير، وتحليل ميتة البحر)^(٥). ونقل عن الشوكاني (ت ١٢٥٠هـ) قوله: "إنّ ثبوت حُجّية السنة المطهّرة واستقلالها بتشريع الأحكام ضرورة دينية، ولا يخالف في ذلك إلا مَنْ لا حظ له في الإسلام"^(٦)..

ثانياً: رد مجموعة كبيرة من الشبهات التي يستعملها القرآنيون للنيل من السنة؛ ثم الاقتصار على القرآن على اعتبار أن السنة غير صالحة للاستدلال، ومن ذلك:

● بيانه لعناية الأمة بتدوين حديث النبي ﷺ

(٤) انظر: دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين،

لمحمد أبو شهبه، ص ١١.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص ١٣.

(٦) انظر: المصدر السابق، ص ١٣، وانظر: إرشاد الفحول إلى

تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني،

تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى،

١٩٤١هـ، ص ٢٩.

ما لم تفرغ من جميع المتفق عليه، فقد اتفقت الأمة على أن زاد الآخرة هو التقوى والورع، وأن الكسب الحرام والمال الحرام والغيبة والنميمة والزنا والسرقه والخيانة حرام)^(١).

ثانيهما: أن الغزالي حينما قال: (إن كنت تطلب الأمان في طريق الآخرة فاسلك سبيل الاحتياط وخذ بما يتفق عليه الجميع)، فهو أراد التفرقة بين الورع التقي وبين الرجل الفارغ المتلهي، فإنه طالب المتلهي إذا سأل مسألة أن يعمل بالمتفق عليه ثم يتوجه إلى ما اختلف فيه العلماء؛ ولا يقصد بذلك ترك كل المختلف فيه)^(٢).

المطلب الثاني: محمد محمد أبو

شهبه (ت ١٤٠٣هـ):

ومن العلماء المعاصرين الذين ظهرت جهودهم، وانتشرت دفاعهم عن السنة ورفض عقيدة جماعة القرآنيين؛ الأستاذ الكبير محمد محمد أبو شهبه، وقد أُلّف في ذلك كتابه المشهور: "دفاع عن السنة وردّ شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين"^(٣).

وقد دافع رحمه الله تعالى دفاعاً مخلصاً عن السنة، ورد فيه على كثير من الشبهات التي اعتمد عليها القرآنيون في تقرير عقيدتهم. ويتلخص جهده فيما يأتي:

أولاً: أنه بدأ كتابه ببيان منزلة السنة في الدين،

(١) انظر: الأنوار الكاشفة، لعبد الرحمن المعلمي، ص ٢٥.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٢٥.

(٣) صدر عن مكتبة السنة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩م.

وتحقيقها والذب عنها^(١).

المطلب الثالث: محمد ناصر الدين

الألباني (ت ١٤٢٠هـ):

من علماء الحديث المعاصرين الذين لهم جهود في رد شبهات القرآنيين، المحدث الكبير محمد ناصر الدين الألباني، وقد ألّف ثلاث رسائل: إحداها "الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام"^(٦)، والثانية "منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن"^(٧)، والثالثة "وجوب الأخذ بحديث الآحاد في العقيدة والرد على شبه المخالفين"^(٨).

يقول الألباني رحمه الله: (ومن المؤسف أنه قد وجد في بعض المفسرين، والكتاب المعاصرين من ذهب إلى جواز ما ذكر في المثالين الأخيرين من إباحة أكل السباع ولبس الذهب والحريز اعتماداً على القرآن فقط، بل وجد في الوقت الحاضر طائفة يتسمون ب (القرآنيين) يفسّرون القرآن بأهوائهم وعقولهم دون الاستعانة على ذلك بالسنة الصحيحة، بل السنة عندهم تبع لأهوائهم فما وافقهم منها تشبثوا به وما لم يوافقهم منها نبذوه وراءهم ظهرياً، بل إن من المؤسف أن بعض الكتاب الأفاضل ألّف

(٦) هي رسالة بجزء واحد، (مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ).

(٧) هي في الأصل محاضرة للشيخ الألباني كان قد ألقاها في الدوحة بقطر في شهر رمضان المبارك عام ١٣٩٢هـ، ثم طبعت (الدار السلفية، الصفاة - الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ)

(٨) طبعت ضمن رسائل الدعوة السلفية ٥، ولم أقف على بيانات للطبعة.

● رده على شبهة رواية الحديث بالمعنى؛ فإن ذلك لم يكن في جميع الأحاديث، بل هو في بعضها، وليس هو في كل لفظ من ألفاظ الحديث بل هو في الكلمة والكلمتين منه، ولا تعدو هذه الشبهة إلا أن تكون ردّاً صارخاً على مذهبهم؛ لليقين بأن كثيراً من الأحاديث الصحيحة اتفق الرواة على ألفاظها وكلماتها^(٢).

● بيانه لاعتماد القرآنيين والطاعنين في السنة على تراث المستشرقين وكتاباتهم^(٣).

● دفاعه عن رواية الأحاديث ونقلتها من الصحابة ومن جاء بعدهم^(٤).

● رده على شبهة تناقض الأحاديث ومخالفة بعضها لبعض، وقد أخذ منه الرد على هذه الشبهة أكثر من ستين صفحة، أورد فيها ما استشكلوه وتوهموا تناقضه، مبيّناً أن التناقض منفي عن الأحاديث الصحيحة، وأن التعارض لم يوجد إلا بين صحيح وضعيف، أو ما هو من قبيل الإسرائيليات التي لم يعتبرها أحد من العلماء حجة^(٥).

(١) انظر: دفاع عن السنة، لمحمد أبو شهبة، ص ٤٧.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٥٢.

(٣) انظر: المصدر السابق، ص ٧٤.

(٤) انظر: المصدر السابق، ص ١٠٢.

(٥) انظر: المصدر السابق، ص ٢٠٥ وما بعدها.

كتاباً في شريعة الإسلام وعقيدته، وذكر في مقدمته أنه ألفه وليس لديه من المراجع إلا القرآن^(١).
وتلخص رده على القرآنيين بما يأتي:

أولاً: أن القرآن الكريم لا يمكن أن يستغني عن السنة الصحيحة، واستدل على ذلك بمجموعة من الآيات لا يمكن فهمها دون السنة ومنها:

- قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]، فإن الآية هنا هي في ظلم مخصوص هو الشرك، وكيف يفهم هذا بغير السنة؟.

- قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٠١]، فظاهر هذه الآية يقتضي أن قصر الصلاة في السفر مشروط له الخوف، ولذلك سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ، فقالوا: ما بالنا نقصر وقد أمنا؟ قال: "صدقة تصدق الله بها عليكم فاقبلوا صدقته"^(٢).

- قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣٢]، وكيف نفهم تحريم الذهب والحريز على الرجال إلا بالسنة.

ثانياً: أن الاكتفاء بالقرآن نفسه ليس هو منهج الصحابة والتابعين، وأورد في ذلك حديث ابن مسعود: (لَعَنَ اللَّهُ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالنَّمِصَاتِ وَالْمُتَمَصَّاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ، قَالَ فَبَلَغَ ذَلِكَ امْرَأَةً مِنْ بَنِي أَسَدٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ يَعْقُوبَ وَكَانَتْ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ فَاتَتْهُ فَقَالَتْ: مَا حَدِيثُ بَلَغَنِي عَنْكَ أَنَّكَ لَعَنْتِ الْوَاشِمَاتِ وَالْمُسْتَوْشِمَاتِ وَالْمُتَمَصَّاتِ وَالْمُتَفَلِّجَاتِ لِلْحُسْنِ الْمُغَيَّرَاتِ خَلَقَ اللَّهُ؟ فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: وَمَا لِي لَا أَلْعَنُ مَنْ لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ فِي كِتَابِ اللَّهِ!! فَقَالَتْ الْمَرْأَةُ: لَقَدْ قَرَأْتُ مَا بَيْنَ لَوْحِي الْمُصْحَفِ فَمَا وَجَدْتُهُ؟ فَقَالَ: لَئِنْ كُنْتُ قَرَأْتِيهِ لَقَدْ وَجَدْتِيهِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحديث]^(٣).

ثالثاً: أن اللغة وحدها لا تكفي لبيان القرآن الكريم.

رابعاً: أنه جعل القرآن والسنة مصدرين متساويين في التشريع^(٤).

خامساً: الاستدلال بالقرآن نفسه على عدم جواز الاقتصار على القرآن^(٥)، ومن ذلك:

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٥٦٩٥).

(٤) انظر: منزلة السنة وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن، محمد بن ناصر الألباني، ص ٢١.

(٥) انظر: الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، محمد بن ناصر الألباني، ص ٢٨.

(١) انظر بتصرف: منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى

عنها بالقرآن، محمد بن ناصر الألباني، ص ١٢-١٣.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (١٦٠٥).

- أبو الأعلى المودودي (ت ١٣٩٩هـ) في كتابه "مكانة السنة التشريعية"^(٣)، وكذلك في كتابه "تفهم القرآن"^(٤).
- عثمان بن معلم محمود بن شيخ علي، في كتابه: "شبهات القرآنيين"^(٥).
- مصطفى السباعي في كتابه: "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"^(٦).
- رياض السعيد في بحث له بعنوان: "القرآنيون وشبهاتهم"^(٧).
- الشيخ خادم حسين إلهي في كتابه: "القرآنيون وشبهاتهم حول السنة"^(٨).
- الدكتور طه الدسوقي حبيشي، في كتابه: "ضلالات منكري السنة"^(٩).
- الدكتور عبد العظيم إبراهيم المطعني في كتابه: "الشبهات الثلاثون المثارة لإنكار السنة النبوية عرض وتفنيذ ونقض"^(١٠).

- قوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

- وقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ وَانفُوا لِلَّهِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [الحجرات: ١].

- وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ ۗ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وغيرها من الآيات.

المطلب الرابع: جهود المفكرين المعاصرين في الرد على القرآنيين:

ذكرنا في المبحثين السابقين جهود عدد من المشتغلين بعلمي التفسير والحديث في الرد على شبهات القرآنيين وتقرير حجية السنة، وأذكر هنا جهود عدد من المفكرين الذين عرضوا لهذه القضية، أذكر منهم ما يتناسب مع متطلبات البحث على سبيل التمثيل، وقد اخترناهم متنوعي المشارب ومختلفي المدارس والتوجهات للدلالة على إجماع الأمة على بطلان مذهب القرآنيين وفساد عقيدتهم ودينهم، ومنهم:

- الدكتور محمود محمد مزروعة في كتابه: "شبهات القرآنيين حول السنة النبوية"^(١).
- عبد الحلیم محمود (ت ١٣٩٧هـ) شيخ الأزهر الأسبق في كتابه "السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي"^(٢).

(١) سبق بيانه في الدراسات السابقة.

(٢) صدر عن المكتبة العصرية، بيروت.

(٣) ذكره غير واحد من أهل العلم ولم نقف له على طبعة.

(٤) المجلد الأول، صدر عن مكتبة تعميم انسانيت، لاهور، الطبعة

الخامسة عشرة، ١٩٧٨ م.

(٥) سبق بيانه في الدراسات السابقة.

(٦) صدر عن المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة

الثالثة، ١٤٠٢ هـ.

(٧) لم نقف عليه مطبوعاً لكنه متوفر على الشبكة العنكبوتية.

(٨) سبق بيانه في الدراسات السابقة.

(٩) صدر عن مكتبة رشوان، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ.

(١٠) صدر عن مكتبة وهبة، القاهرة، ١٤٢١ هـ.

■ محمد طاهر حكيم في بحثه بعنوان: "السنة في مواجهة الأباطيل"^(٧).

المبحث الثالث: تقييم الجهود المبذولة في الرد على القرآنيين:

وبعد هذا التطواف في عرض جهود المعاصرين في الرد على شبهات ملة القرآنيين، نذكر تقييمنا لهذه الجهود، مبينين ما لها وما عليها، فنقول:
أولاً: استطاع الكاتبون أن يتحققوا جيداً من تاريخ ملة القرآنيين، وأن يبينوا الجذور التاريخية والعقدية لهم، ثم سحبوا هذه القضايا على التطور الديني لمفردات عقيدتهم.

ثانياً: أما من حيث الأهداف؛ فإن المعاصرين قد وقفوا على كثير من الأهداف التي

أنشئت من أجلها هذه الملة، كالمهدف الأول والثاني والثالث^(٨)، إلا أن المهدف الرابع^(٩) الذي أظهرته هذه الدراسة لم يكن واضحاً جلياً في كثير من دراسات الباحثين المعاصرين، وهذا يتطلب منا إظهاراً وإشهاراً أكبر على مختلف النواحي والأصعدة.

ثالثاً: اعتمد كثير من الباحثين على اعتبار أن هذه الشبهة شبهة قديمة، فشابهت مناهجهم مناهج المتقدمين في دفع شبهاتهم والرد عليهم، وهذا الأمر — وإن كان جيداً — إلا أنه كان ينبغي أن ينطلق الباحثون من كون هذه الملة قد اتخذت شكلاً جديداً

■ عماد السيد محمد الشربيني في رسالته الماجستير: "السنة النبوية في كتابات أعداء الإسلام في الكتابات العربية"^(١).

■ الدكتور عمر إبراهيم رضوان في كتابه: "آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره"^(٢).

■ محمود صالح شريح في رسالته الماجستير الموسومة بـ "السنة باعتبارها مصدرًا من مصادر التشريع"^(٣).

■ الدكتور عبد الموجود محمد عبد اللطيف في كتابه: "السنة النبوية بين دعاة الفتنة وأدعياء العلم"^(٤).

■ عبد الغني عبد الخالق في كتابه: "حجية السنة"^(٥).

■ محمد عبد الرزاق حمزة في كتابه: "ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية ومعه الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على ما فيه من زيغ وكفر وضلال بالعقل والنقل"^(٦).

(١) رسالة قدمها بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٩٩م.

(٢) صدر عن دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ.

(٣) رسالة ماجستير في الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٠هـ.

(٤) صدر عن مطبعة طيبة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ.

(٥) صدر عن دار الوفاء "المعهد العالمي للفكر الإسلامي"، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ.

(٦) صدر عن المطبعة السلفية ومكتبها، القاهرة، ١٣٧٨هـ.

(٧) صدر عن رابطة العالم الإسلامي، العدد ١٢، ١٤٠٢هـ.

(٨) سبق بيانها ص ٤.

(٩) سبق بيانه ص ٤-٥.

جهود القرآنيين، فإنها ستضعف وتضمحل، كما هو شأن أكثر الأعمال الفردية.

ثامناً: لم يتمكن المفسرون والمحدثون والمفكرون جميعهم، حتى هذه اللحظة من استشارة الإعلام العالمي الإسلامي، من أجل الانقضاض على بدعة القرآنيين بالشكل المناسب، والسبب في ذلك أن أكثر روافد الإعلام في العالمين الإسلامي والعربي ليست بأيدي المعنيين بشؤون الإسلام والمسلمين، بل هي شركات ربحية غايتها الأولى والأخيرة تحقيق مصالحها الخاصة ولو كانت على حساب الدين والإسلام.

تاسعاً: ثمة تقصير كبير في التأطير المنظم والتنظيم الواعي لمجاهة فكر القرآنيين، ولذلك نحن نسأل ونستغرب: أين المراكز الإسلامية التي خصصت من أجل الرد على بدعة القرآنيين؟، ولهذا لا تكاد تجد مركزاً واحداً أنشئ من أجل هذه الغاية، ولا حتى جزءاً من مركز خصص لتشخيص مذهبهم والرد عليهم.

عاشراً: إن حجم المؤتمرات والندوات التي عقدت للحديث عن هؤلاء القوم لا يتوازي مع خطرهم وانتشارهم، فها نحن نجد الكثير من أبناء مجتمعنا ينتحلون نحلتهم، ثم بعد ذلك نجد أنفسنا مضطرين إلى جهود مضاعفة لإقناعهم بأنهم اتبعوا منهجاً خاطئاً آثماً.

حادي عشر: ثمة تقصير - أيضاً - في إيضاح المتخصصين في الدراسات البينية

إلى حد كبير، حتى أصبح كثير من معتنقيها يعتقدونها على أنها من الإسلام حقيقة وواقعاً.

رابعاً: اقتصر جهود المفسرين في أغلبها على الرد عليهم من خلال الآيات التي تخالف عقيدة القرآنيين، والتي تثبت حجية السنة الشريفة، وهذا وحده غير كاف في الرد عليهم، والسبب أن هؤلاء المبتدعين يسمون أنفسهم بالقرآنيين، وهذا وحده كاف في أن يبذل المفسرون الجهود الكبيرة الواضحة للبراءة منهم، وكشف زيغهم وضلالهم، حتى ولو كان ذلك على سبيل الاستطراد، فإن الاستطراد - على الأظهر - ليس مذموماً على الإطلاق، بل هو جميل وحسن إذا كان من أجل الدفاع عن القرآن الكريم.

خامساً: أما أهل الحديث فإن جهودهم كانت أوضح وأكبر، وقد أخذت جانباً علمياً متنوعاً، فهم قد ألفوا الكتب للرد على عقيدة القرآنيين، كما أنهم جعلوا كثيراً من موضوعات الأبحاث والرسائل والأطروحات خاصة للرد عليهم، فأخذت الجهود جانباً أكاديمياً جيداً.

سادساً: أما المفكرون فكان نتاجهم قريباً من نتاج المحدثين، وقد سار بدرجة كبيرة وفق منهجهم، من حيث الموضوعات، وطريقة الردود، وطبيعة الجهات المقدم لها، وتنوع الجوانب التأليفية وتوجهاتها.

سابعاً: المفسرون والمحدثون والمفكرون جميعهم لم يصلوا إلى مرحلة الحسم الفارقة في كشف عوار فرقة القرآنيين، بل إن جهودهم يغلب عليها طابع الفردية والجهود الشخصية، وإنما إذا قابلنا هذه الجهود مع

٤. من أهم أهداف هذه الفرقة إنكار السنة، والوصول منها إلى إنكار القرآن، والتقليل من حجم النصوص المقدسة عند المسلمين.

٥. ومن أهم أهدافهم: تحقيق رغبة الغرب في رفض الإسلام المحمدي الخاص، والدعوة إلى الإسلام العام الذي لا تميز فيه لمسلم عن يهودي أو نصراني، أو حتى بوذي أو هندوسي.

٦. استتاع المفسرون والمحدثون والمفكرون أن يأتوا على كل شبههم بالنقض والرفض، بما لا مجال معه للشك في بطلان عقيدة القرآنيين.

٧. تميزت جهود المشتغلين بعلم الحديث بصورة أكبر من جهود المفسرين والمفكرين.

٨. ثمة تقصير واضح في تحويل الجهود من جهود شخصية إلى جهود دولية أو مؤسساتية منظمة في الرد على هؤلاء المتدعين.

وأما التوصيات فمن أبرزها:

١. عقد المؤتمرات والندوات الدولية التي تعنى بهذه القضية.

٢. الدعوة إلى إنشاء كرسي يعنى بالدراسات البينية بين علوم التفسير والحديث والعقيدة، وخاصة في مقام الشبهات.

لطلابهم العلاقة التكاملية بين المجموعات العالمية المنظمة التي تستهدف الإسلام، حتى أصبحنا ندرس كل فرقة على حدة، على حين أن التدقيق والتحقيق يقودنا إلى الجزم بأن ثمة منظماً أكبر ذا نظرة شمولية تكاملية، ينسق بين هذه الجهود الطاعنة في الإسلام بكل مفرداته، وكأنهم مؤسسة واحدة خصصت كل فرع منها لتكثيف الجهود من أجل الطعن في قضية خاصة.

وما ذكرناه لا يعني البتة إنكار الجهود التي تبذل ضد القرآنيين وفكرهم، فمع شكرنا وتقديرنا واعتزازنا بكل ما قدم، إلا أن طلب الأحسن أحسن، وإرادة الأكمل أجمل.

الخاتمة:

في خاتمة هذا البحث نسطر ملخصاً له، وأهم نتائجه:

١. القرآنيون: قوم ابتدعوا الاعتماد على القرآن الكريم وحده مصدرًا من مصادر التشريع.

٢. فكر القرآنيين قائم على إنكار السنة الشريفة، وقد تزامن ظهور هذه البدعة مع ظهور بدعة المعتزلة والخوارج والشيعة، على تفاوت بينهم في نسبة الإنكار.

٣. استغل القرآنيون الإعلام العالمي اللاديني أو الديني المحرف لإشهار عقيدتهم وشبهاتهم.

رضوان، دار طيبة للنشر، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٣ هـ.

● الأنوار الكاشفة لما في كتاب "أضواء على السنة" من الزلزل والتضليل والمجازفة، لعبد الرحمن بن يحيى ابن علي المعلمي اليماني، طبعته دار عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٦ هـ.

● إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، لمحمد بن علي الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ.

● التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس.

● دفاع عن السنة ورد شبه المستشرقين والكتاب المعاصرين، لمحمد بن محمد بن سويلم أبو شهب، مكتبة السنة، الطبعة الأولى، ١٩٨٩ م.

● تفسير القرآن الحكيم "تفسير المنار"، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية، ١٣٦٦ هـ.

● تفهيم القرآن، لأبي الأعلى المودودي، المجلد الأول، طبعته مكتبة تعمیر انسانيت، لاهور، الطبعة الخامسة عشرة، ١٩٧٨ م.

● الحديث حجة بنفسه في العقائد والأحكام، لمحمد ناصر الدين

٣. إعادة النظر في كثير من مناهج التدريس، وخطط الأقسام والمسارات الجامعية والمدرسية، وتخصيص فصول منها لدراسة مثل هذه الظاهرة.

٤. تكثيف الجهود المجتمعية، واعتبار مثل هذه الفرق فرقاً تخل بعقيدة أبناء المجتمع و فكرهم.

٥. دعوة الحكومات والشركات الخيرية والمؤسسات الوقفية إلى تبني الدفاع عن الإسلام بإنشاء مراكز متخصصة لمجابهة الأفكار الدينية المنحرفة.

هذه هي أهم نتائج البحث وتوصياته، وقد بذلنا فيه غاية الوسع والجهد والوقت للوصول لمراده، فإن وفقنا فالحمد لله، وإلا فنسأل الله سبحانه أن يعفو عن الخطأ والتقصير، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المراجع

● آراء محمد رشيد رضا في قضايا السنة النبوية من خلال مجلة المنار دراسة تحليلية نقدية، لمحمد بن رمضان رمضاني، رسالة علمية، مجلة البيان، الطبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ.

● آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، للدكتور عمر إبراهيم

● **السنة ومكانتها في التشريع**

الإسلامي، لمصطفى بن حسني السباعي، المكتب الإسلامي، دمشق - سوريا، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٢ هـ.

● **السنة النبوية في كتابات أعداء**

الإسلام في الكتابات العريية، لعماد السيد محمد الشريبي، رسالة ماجستير، قدمها بكلية أصول الدين بجامعة الأزهر عام ١٩٩٩ م.

● **الشبهات الثلاثون المثارة**

لإنكار السنة النبوية عرض وتفنييد ونقض، للدكتور عبد العظيم إبراهيم محمد المطعني، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م

● **شبهات القرآنيين حول السنة**

النبوية، للأستاذ الدكتور محمود بن محمد مزروعة، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ.

● **شبهات القرآنيين، لعثمان بن**

شيخ علي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

● **صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو**

عبدالله البخاري الجعفي، تحقيق: مصطفى ديب، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٠٧ هـ.

الألباني، هي رسالة بجزء واحد، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ.

● **حجية السنة، لعبد الغني عبد الخالق، دار الوفاء "المعهد العالمي للفكر الإسلامي"، الطبعة الأولى، ١٤٠٧ هـ.**

● **السلسلة الصحيحة، لمحمد بن ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٥ هـ.**

● **سنن أبي داود، سليمان بن الأشعث السجستاني، دار الكتاب العربي، بيروت.**

● **سنن الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة بن الضحاك الترمذي، تحقيق: أحمد شاکر ومحمد عبد الباقي وإبراهيم عطوة، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ.**

● **السنة باعتبارها مصدرًا من مصادر التشريع، لمحمود صالح شريح، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية، المدينة المنورة، ١٤٠٠ هـ.**

● **السنة في مواجهة الأباطيل، لمحمد طاهر حكيم، مجلة دعوة الحق، مطبوعات رابطة العالم الإسلامي، السنة الثانية، العدد ١٢، ١٤٠٢ هـ.**

● **السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، لعبد الحلیم محمود، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.**

- صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- ضلالات منكوري السنة، للدكتور طه الدسوقي حيشي، مكتبة رشوان، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٤٢٧ هـ / ٢٠٠٦ م.
- ظلمات أبي رية أمام أضواء السنة المحمدية ومعه الشواهد والنصوص من كتاب الأغلال على ما فيه من زيغ وكفر وضلال بالعقل والنقل، لمحمد عبد الرزاق حمزة المطبعة السلفية ومكبتها، القاهرة، ١٣٧٨ هـ.
- العقيدة الواسطية، لمحمد بن صالح العثيمين، خرج أحاديثه سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي للنشر، المملكة العربية السعودية، الطبعة السادسة، ١٤٢١ هـ.
- القرآنيون وشبهاتهم حول السنة، لخادم حسين بخش، مكتبة الصديق للنشر والتوزيع، الطائف، الطبعة الثانية، ١٤٢١ هـ.
- القرآن وكفى، أحمد صبحي منصور، مؤسسة الانتشار العربي عام ٢٠٠٥ م.
- القسطاس المستقيم "الموازن الخمسة للمعرفة في القرآن"، لأبي حامد الغزالي، قرأه وعلق عليه: محمود بيجو، المطبعة العلمية، دمشق، ١٤١٣ هـ.
- محاسن التأويل، لمحمد جمال الدين القاسمي، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- مجلة المنار، المجلد الواحد والثلاثون، الجزء الثالث، ربيع الآخر ١٣٤٩ هـ.
- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب فهد ناصر السليمان، دار الوطن، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣ هـ.
- منزلة السنة في الإسلام وبيان أنه لا يستغنى عنها بالقرآن، لمحمد ناصر الدين الألباني، الدار السلفية، الصفاة - الكويت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤ هـ.
- الموافقات، لأبي إسحاق إبراهيم بن موسى الشاطبي، تحقيق: مشهور حسن سلمان، دار ابن عفان، الطبعة الأولى، ١٤١٧ هـ.